مركز حمورابي

الاغتيالات المستهدفة لن تقضي على حزب الله، التاريخ المظلم لتكتيكٍ غير فعّال

الاغتيالات المستهدفة لن تقضي على حزب الله، التاريخ المظلم لتكتيكٍ غير فعّال

بقلم: سارة إي باركنسون، وجونا شولهوفر وول
ترجمة: صفا مهدي/ مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

18 تشرين الثاني 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي
للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجـــــوز نشـــــر أي من هذه الابحـــــاث والدراســـات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

في 27 ايلول قامت (إسرائيل)** باغتيال حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله، عبر إسقاط 60 إلى 80 قنبلة مدمرة للتحصينات على حي مكتظ بالسكان في الضاحية الجنوبية لبيروت. أسفر الهجوم عن مقتل عدة قادة من حزب الله، إضافة إلى جنرال من الحرس الثوري الإيراني وما لا يقل عن 33 مدنياً، فيما أصيب 195 شخصاً آخر.

يأتي هذا الهجوم مع الهجمات التي تلته والغزو البري (الإسرائيلي) للبنان، كجزء من تصعيد مستمر ضد قيادة حزب الله على مدار عام كامل. وخلال هذه الفترة، قتلت القوات (الإسرائيلية) مئات المقاتلين وآلاف المدنيين، من بينهم ما لا يقل عن عشرين قائداً عسكرياً ومسؤولاً رفيعاً، بما في ذلك هاشم صفي الدين، الذي كان يُعتبر خليفةً محتملاً لنصر الله. وفي 8 تشرين الاول أعلن رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو عن نجاح الحملة الخاصة باغتيال السيد نصر الله ورفاقه.

ووفقاً لمنطق نتنياهو ومسؤولين (إسرائيليين) آخرين من شأن هذه الاغتيالات أن تسهم في تدمير حزب الله بشكل دائم. غير أن الواقع يشير إلى أن نجاح هذه الاستراتيجية يبدو غير مرجح. فحزب الله هو تنظيم يمتد عمره إلى 40 عاماً يتمتع بقاعدة اجتماعية كبيرة ويمثل كحزب سياسي في البرلمان والحكومة اللبنانية، ويحظى بدعم من الدولة الإيرانية. يتميز الحزب بقدرة عالية على التكيف والصمود. قد تتمكن (إسرائيل) من إضعاف الحزب مؤقتاً، لكن من المتوقع أن يعيد حزب الله تنظيم صفوفه، كما أن القادة الجدد قد يسعون إلى الانتقام من (إسرائيل) لإثبات قوتهم وتعزيز مكانة التنظيم. حتى وإن تمكنت حملة الاغتيالات (الإسرائيلية) من إضعاف حزب الله بشكل دائم، فإن من المرجح أن يظهر تنظيم آخر لملء هذا الفراغ. فالتاريخ يشير إلى أنه عندما تتسبب الاغتيالات في انهيار منظمات مسلحة، تتجمع عادةً مجموعات أخرى لتملأ مكانها. يعود ذلك جزئياً إلى أن الاغتيالات تعتبر تكتيكاً عسكرياً وليس حلاً سياسياً، فهي لا تسهم في معالجة الأسباب الجذرية التي تؤدي إلى الصراع، كما أن عمليات القتل المستهدف سواء بسبب الخطأ أو كأضرار جانبية، غالباً ما تؤدي إلى مقتل وإصابة المدنيين وتدمير البنية التحتية، مما يزيد من مشاعر السخط الشعبي ويحفز على التجنيد ضمن الجماعات المسلحة، ويعيق جهود التفاوض. باختصار، تعمل الاغتيالات المستهدفة على إطالة أمد العنف بدلاً من إنهائه.

** لمقتضيات الأمانة العلمية، وضرورات الترجمة الدقيقة، تم الإبقاء على كلمة (إسرائيل)، وهو لا يعني اعتراف المركز بها، وما هو مكتوب يمثل راي وأفكار المؤلف.

* Sarah E. Parkinson and Jonah Schulhofer-Wohl, Targeted Killings Won't Destroy Hezbollah the Sordid History of a Flawed Tactic, FOREIGN AFFAIRS, November 11, 2024.

لمقتضيات الأمانة العلمية، وضرورات الترجمة الدقيقة، تم الإبقاء على كلمة (إسرائيل)، وهو لا يعني اعتراف ** المركز بها، وما هو مكتوب يمثل راي وأفكار المؤلف.

التبعات غير المقصودة

على مدى أكثر من خمسين عاماً، نفذت (إسرائيل) عمليات اغتيال لقادة مسلحين في لبنان باستخدام هجمات كوماندوز، وتفجيرات سيارات، وغارات جوية، وركزت هذه الهجمات على ما يسميه بعض الباحثين والمحللين العسكريين "قطع رأس القيادة": أي استهداف قادة الجماعات المسلحة غير الحكومية بهدف إضعاف قدراتها وإحداث انهيار تنظيمي.

ورغم أن مصطلحي "القتل المستهدف" و"قطع رأس القيادة" لا يُعتبران رسميين في القانون الدولي، يجادل العديد من الخبراء بأنهما مجرد تعبيرات ملطفة لعمليات إعدام خارج نطاق القانون، وهو ما تحظره قوانين النزاع المسلح. في المقابل، يرى المدافعون عن هذه التكتيكات، خاصة (إسرائيل) والولايات المتحدة، أنها وسيلة فعّالة وأخلاقية عسكرياً لتقويض وهزيمة الجماعات المسلحة. ويستند هذا التبرير إلى إمكانية استهداف الأفراد الأساسيين في هذه التنظيمات مع تقليل الضرر المدني، لكن وفقاً للتفسير (الإسرائيلي) والأمريكي، يجب أن تراعي عمليات القتل المستهدف مبدأ التناسب، بحيث يكون المكسب العسكري مبرراً للضحايا المدنيين. كما أوضح القاضي (الإسرائيلي) أهارون باراك عام 2006 بأن "استهداف مسلح يطلق النار من شرفة منزله يعتبر متناسباً حتى لو أصيب مدني بريء بالخطأ، لكن الأمر يختلف إذا تم قصف المبنى بأكمله وتضرر العديد من السكان والمارة".

ووفقاً لمعظم تفسيرات قوانين النزاع المسلح، ومنها تفسير اللجنة الدولية للصليب الأحمر، يتمتع العديد من الأشخاص الذين تستهدفهم (إسرائيل) بحماية قانونية، إذ يُعتبر العاملون أو المتطوعون في الأجنحة الاجتماعية والسياسية لحزب الله مدنيين، ما لم يشاركوا في الأعمال العدائية بشكل مباشر. لكن لدى (إسرائيل) والولايات المتحدة تفسيراً أكثر توسعاً لمفهوم المشاركة المباشرة في الأعمال القتالية. على سبيل المثال، استهدفت (إسرائيل) في غارة يوم 16 تشرين الاول مبنى بلدية في مدينة النبطية اللبنانية، وقتلت رئيس البلدية الذي كان مرشحاً على قائمة مشتركة لحزب الله وحركة أمل، إلى جانب أعضاء في لجنة الطوارئ.

حتى إذا كانت الهجمات (الإسرائيلية) تستهدف المقاتلين فقط، فإن القتل المستهدف يواجه مشكلة إضافية: النتائج العكسية. ورغم أن الأبحاث حول هذا التكتيك قدّمت نتائج متباينة بسبب اختلاف معايير النجاح، إلا أنها تشير بشكل عام إلى أن الهجمات تفشل في تحقيق أهدافها طويلة المدى. على سبيل المثال، لم تنجح هذه السياسة خلال حملات الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق وباكستان والصومال وسوريا واليمن. وقد وجدت د. ديبالي موكوبادياي أستاذة بجامعة جونز هوبكنز والمتخصصة في الحرب الأمريكية في أفغانستان، أن الولايات المتحدة انزلقت في فخ الاغتيالات المستهدفة، فركزت على الانتقام والمكاسب السياسية الآنية بدلاً من البحث عن حلول طويلة الأمد.

يجادل مؤيدو الاغتيالات المستهدفة بأن استهداف الأفراد المتورطين في العنف يقلل من قدرات التنظيم ويضعف الروح المعنوية، وتدعي الحكومة (الإسرائيلية) أن عملياتها في لبنان تحقق هذه الأهداف، لكن حزب الله أثبت صموده أمام هذه الهجمات بفضل طابعه المؤسسي وقدرته التنظيمية، فهذه الجماعات عادةً ما

تمتلك خططاً واضحة لخلافة القيادة وتدريباً لوحداتها على العمل بشكل مستقل، مما يعني أن قتل قادتها لا يؤدي بالضرورة إلى شلّ قدرتها العملياتية.

قد تواجه الجماعات المسلحة، بعد عمليات اغتيال كبيرة، ارتباكاً مؤقتاً في التواصل، أو صدمة وحالة من جنون الارتياب، لكن حتى مع مقتل قادة عسكريين بارزين، تظل العناصر الأخرى مستعدة لمواصلة العمليات. فعلى سبيل المثال، أطلق حزب الله منذ مقتل نصر الله مئات الصواريخ والطائرات المسيّرة على قواعد عسكرية (إسرائيلية) ومدن رئيسية مثل حيفا، وحتى مقر إقامة رئيس الوزراء نتنياهو.

والواقع أن التنظيمات التي فقدت قادة بارزين علناً قد تصبح أكثر تصميماً على استعراض قوتها وإعادة بناء قدراتها، فقد قصف حزب الله الحدود اللبنانية (الإسرائيلية) بعد جنازة أمينه العام الأسبق عباس الموسوي، الذي اغتالته (إسرائيل) عام 1992. ودفعت وفاة الموسوي قادة حزب الله للانتقام وسمحت للجناح المتشدد داخل التنظيم بتصعيد عملياته ضد الجيش (الإسرائيلي) في جنوب لبنان المحتل، وحتى شن هجمات دولية، وقد ربط رئيس الاستخبارات العسكرية (الإسرائيلية) بين عامي 1991 و1995، أوري ساغي، بين اغتيال الموسوي وتصعيد عمليات حزب الله، بما في ذلك تفجير السفارة الإسرائيلية والمركز الثقافي اليهودي في الأرجنتين عامي 1992 و1994. وبعد قرابة عقد من وفاة الموسوي، بات حزب الله أقوى، مما دفع (إسرائيل) للانسحاب من جنوب لبنان عام 2000. ورغم استمرار (إسرائيل) في استهداف حزب الله، إلا أن نفوذ التنظيم ظل ينمو، وفي 12 تموز 2006، شنّ حزب الله هجوماً عبر الحدود أسفر عن مقتل وأسر جنود (إسرائيليين)، مما أدى إلى اندلاع حرب تموز 2006.

يمكن للاغتيالات أيضاً أن تؤدي إلى صعود قادة أكثر تشدداً أو كفاءة، فقد أسفر اغتيال الموسوي عن صعود نصر الله الكاريزمي، الذي بمساعدة المخطط العسكري عماد مغنية، حوّل الحزب من ميليشيا محلية إلى قوة مسلحة غير حكومية تفوق قوة الجيش اللبناني. كما أن الاغتيالات قد تدفع أطرافاً خارجية إلى تقديم دعم مالي وتقني، فعندما قتلت (إسرائيل) مغنية عام 2008، زاد تورط مستشاري الحرس الثوري الإيراني في عمليات حزب الله اليومية. وبالمثل، فتح اغتيال قائد حماس الشيخ أحمد ياسين عام 2004 المجال لتعميق التعاون بين حماس وإيران وهو تعاون كان ياسين يعارضه.

العنف يولّد العنف

رغم أن عمليات القتل المستهدف قد تؤدي إلى تعطيل بنية القيادة في التنظيمات لفترة مؤقتة، فإنها غالباً ما تساهم في تصعيد العنف، ففي الجماعات التي تعتمد على هيكل الخلايا المستقلة، تظهر فصائل تسعى إلى تحقيق مصالح وأهداف خاصة بها، حيث يتنافس القادة الجدد بالعنف على جذب الانتباه والموارد والمكانة، وهي ظاهرة تعرف في العلوم السياسية بـ "التزايد العنيف"، والنتيجة هي أن هجمات التنظيم المستهدف تصبح أكثر إثارة وأقل توقعاً.

وقد شهد لبنان هذه الظاهرة بالفعل ففي عام 1982 اجتاحت (إسرائيل) الأراضي اللبنانية بهدف القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية والفصائل المسلحة التي كانت تطلق الصواريخ وتنظم هجمات عبر الحدود

من جنوب لبنان. خلال هذه العملية، قتلت (إسرائيل) أو اعتقلت عدداً من القادة الفلسطينيين إلى جانب آلاف المدنيين، ما أدى إلى ترك الوحدات الفلسطينية في حالة من الفوضى. وظهرت ميليشيات فلسطينية محلية لم تكن تتبع أوامر القيادة التقليدية، وتعاونت مع مقاومين لبنانيين لتنفيذ هجمات غير منظمة أثارت اضطراباً في صفوف القوات (الإسرائيلية) وحلفائها. وأدى ذلك إلى انسحاب (إسرائيل) في عام 1985 إلى المنطقة الحدودية، التي بقيت تحت سيطرتها حتى عام 2000، ومع ذلك ما زال لبنان يعاني من تبعات تلك الحرب. إحدى الشخصيات الفلسطينية التي استهدفتها (إسرائيل) في غارة على مخيم عين الحلوة في تشرين الاول، كانت من الشخصيات التي ظهرت خلال هذا الفراغ القيادي في الثمانينات. من الحجج الأساسية لداعمي القتل المستهدف أنه يقلل من الضحايا المدنيين، ولكن في الواقع، تسببت هذه العمليات في دمار واسع وسقوط ضحايا مدنيين بأعداد كبيرة، على سبيل المثال تسببت الغارة التي استهدفت نصر الله بتدمير مبنى بأكمله في أحد أكثر أحياء لبنان كثافة. وفي 10 تشرين الاول، استهدفت (إسرائيل) وفيق صفا، مسؤول الارتباط في حزب الله، ما أدى إلى انهيار مبنى مكوّن من ثمانية طوابق في وسط بيروت، وأسفر ذلك عن مقتل 22 شخصاً وإصابة 117 آخرين. وتقول الحكومة (الإسرائيلية) إنها تستخدم اتصالات هاتفية ورسائل نصية ومنشورات لتحذير المدنيين قبل الهجوم. ومع ذلك أفادت منظمة العفو الدولية بأن هذه التحذيرات، إن وجدت، تكون غالباً غير واضحة أو تترك للمدنيين وقتاً غير كافٍ للنجاة.

حتى العمليات التي تُعتبر من الناحية التقنية دقيقة جداً لم تتجنب الضرر الواسع للمدنيين، اندهش المراقبون على سبيل المثال، عندما قامت (إسرائيل) في ايلول بتفجير آلاف الأجهزة اللاسلكية وأجهزة النداء التي يستخدمها حزب الله، لكن الهجوم أسفر عن مقتل وإصابة العشرات من المدنيين. ووصف ليون بانيتا، وزير الدفاع الأمريكي ومدير وكالة الاستخبارات المركزية السابق، هذه الهجمات بأنها "شكل من أشكال الإرهاب". وغالباً ما لا يستطيع المدنيون الفرار، إذ قد يكونون كباراً في السن أو مرضى أو من ذوي الإعاقة، كما أن نصف سكان لبنان يعيشون تحت خط الفقر، مما يجعل الكثير منهم غير قادرين مادياً على الإخلاء. بسبب هذه العواقب الوخيمة يرى المدنيون في لبنان أن هذه الهجمات شكل من أشكال العقاب الجماعي، وقد يكون ذلك هو الغرض منها من وجهة نظر الحكومة (الإسرائيلية)، حيث تأمل في أن تدفع هذه المعاناة المدنيين إلى معارضة حزب الله. ففي تشرين الاول، هدد نتنياهو لبنان بـ "الدمار والمعاناة كما يحدث في غزة" ما لم يقف الشعب ضد حزب الله، والفرضية هنا أن المدنيين إذا حملوا الحزب مسؤولية دمار بلادهم، سيساعدون (إسرائيل) في القضاء على نفوذه.

لكن هذا التحول غير مرجح بل قد يحدث العكس تماماً، (إسرائيل) هي قوة أجنبية اجتاحت لبنان ثلاث مرات وشنت عمليات عسكرية مدمرة أخرى، وخلال احتلالها من عام 1982 إلى 2000، فرضت (إسرائيل) سيطرتها الصارمة على سكان جنوب لبنان. واعتقلت الآلاف من اللبنانيين والفلسطينيين، وأجّجت التوترات الطائفية عبر توكيل العنف إلى جيش لبنان الجنوبي، الذي يغلب عليه الطابع المسيحي وأدى الاحتلال وما صاحبه من قمع ومعاناة إلى تعزيز تجنيد العناصر في صفوف حزب الله والأحزاب المسلحة الأخرى في لبنان. وتعزز تجربة المدنيين مع هذه الهجمات المتكررة والمتسمة بالعشوائية قناعاتهم بدعم الحزب، فبعض الذين لم يكونوا مقاتلين قد يرون أن الانضمام إلى التنظيم يوفر لهم الوسائل والأمان في مواجهة المخاطر، خاصةً عندما يصبح القتل العشوائي حقيقة يومية، كما حدث بين عامي 1982 و2000، قد تشهد التعبئة الشعبية في لبنان ضد (إسرائيل) تصاعداً جديداً. تشير التجارب السابقة إلى أن هجمات (إسرائيل) المستهدفة لن تقضي على حزب الله، فقد استخدمت (إسرائيل) هذا التكتيك لعقود، وبدلاً من أن يتراجع، أثبت حزب الله مرونته وقدرته على التكيف، وقد أسفرت محاولات قطع القيادة عن زيادة العنف وتوسع التنظيم وزيادة النفوذ الإيراني. ويدرك الشعب اللبناني هذه الحقيقة جيداً، ففي تشرين الاول رد السفير اللبناني لدى المملكة المتحدة (رامي مرتضى) على تهديدات نتنياهو قائلاً: "ستؤدي هذه الهجمات إلى تعزيز حزب الله، وستزيد من إحباط السكان، وستؤكد ما يقوله الحزب منذ 40 عاماً: "(إسرائيل) لا تفهم سوى لغة القوة".

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة